

الفنان العراقي صدرالدين امين :

## ابحث عن افاق جديدة لا نهاية لها

لاشئ يفصل تقريبا بين البدائية وعالم الطفولة- فالبدائية هي طفولة الجنس البشري-والطفولة هي بدائية كل منا فالبدائية والطفولة انهما المنبع الثري لكثير من الرؤى والاحاسيس - والعودة اليهما من خلال الوعي واللاوعي تمنح الفنان الكثير من الاجنحة للتحليق في فضاء رحب من الميثولوجيا والبراءة والحس الانساني الصادق المفعم بالحرية والاسرار - ومن هنا لايجد الفنان التشكيلي صدرالدين امين الا ان يجتاز الشعرة بين هذين العالمين -- عالم البدائية الموعل في القدم والقابع بعيدا في اعماق الذاكرة واللاوعي وعالم الطفولة الجميل الذي يحتل الطبقات العليا من الذاكرة -- وفي كثير من الاحيان يعمد الى مزج هذين العالمين --فيقول :-(عندما ارسم احس بانني اعيش قبل عشرات القرون - او كطفل بدا الرسم لتوه ويسعادة حقيقية لاتوصف)-. واذا كان الحال على ماتوصلنا اليه من فرضية مؤكدة - فان هناك في عالم صدرالدين بعدا ثالثا -- هو الحلم -- فالحلم شئ جميل يعود بنا بعيدا - بعيدا الى عوالم اندثرت في اللاوعي - بل في اسفل طبقاته حيث تلقي الطفولة بالبدائية لينتج عنها حلم مركب يدعو الى الدهشة ويتسم بالغرابة ليعبر ليس عن مكنون الانسان كفرد فحسب بل عن مكنونه كحس جمعي ايضا -

ثلاثة اقايم هي التي شكلت تجربة هذا الفنان الذي امتزجت لديه العفوية الذي تعني (التعبيري التشكيلي المحض دون ان تتحكم فيه منطقية الاشكال الفنية التي تفرزها المدارس الفنية ) بالحرفية العالية والفلسفة الفنية المستندة الى المكونات الاساسية للفنان المستندة الى موروث حضاري عريق - وهذه الاقايم التي نراها ماثلة بشكل واضح عبر لوحات الفنان صدرالدين والتي يبلغ عددها ثلاثا وثلاثين لوحة ضمها معرضه الشخصي الاول في قاعة المركز الثقافي الفرنسي في عمان بعد ستة معارض مشتركة - ثلاثة منها في العراق وواحد في هولندا واثنان في بلجيكا -

لوحات المعرض الجديد مرسومة بالحبر - وعلى الورق - وهما مادتان اوليتان لهما علاقة بموضوع المعرض- فالورق والحبر من اكثر المواد انتشارا ووفرة في العالم - كما انهما من المواد الاولية المتوفرة في كل مكان بالنسبة للطفل في سني عمره الاولى وهو يرسم ويعبر عن مخيلته التي ماتزال تحتفظ بالخيال والحلم والبدائية --مثلما هما من اول ما استعمل الفنان خلال انطلاقته الحديثة - الملاحظة الاولية التي يجب الاشارة اليهما ان الفنان صدرالدين امين لم يضع عناوين للوحاته الثلاث والثلاثين - بل جعل لكل منها رقما - فهي تتسلل من واحد الى ثلاثة وثلاثين وكأنه يريد بذلك ان يقول ان الحلم واحد وان المعرض لوحة واحدة وتحت عنوان واحد -ولكن بارقام مختلفة - غير ان هذا لايعني بطبيعة الحال ان اللوحات واحدة ومتشابهة - بل هي على العكس من ذلك تماما --فكل لوحة تمتلك شخصيتها المستقلة وتعبر عن حالة واحدة من حالات الحلم - وان كانت جميعها تخضع لرؤية واحدة وتنطلق من اسلوب واحد وفلسفة فنية واحدة -

## الحلم --الاسطورة

امام اللوحة التي تحمل الرقم 11 يقف المشاهد مذهولا وهو يتأمل هذا الشكل الذي يستفز المتأمل ويدعوه الى الاستغراق فيه بشكل كامل -- انه عالم طفولي بحث --الوجه المدور بعينه السوداوين يشع منهما الق عذب اليدان مرفوعتان الى الاعلى ربما في حركة الاستسلام وربما في حركة الدعاء -- وقد تم كل شئ بخطوط سوداء سميكة تحدد الجسم - اما الخلفية فكانت عالما من الفنتازيا والاشكال التي لا ترابط ولا الفة بينهما كما في الحلم تماما --فحيث نجد الارنب بوجهه الطفولي وهو يتأمل سعفة النخيل لانستغرب ان نرى الاسماك الطائرة اوتلك التي تسير

على ارجل متعددة -- كما ان هناك وجوه الاطفال التي يطل منها الحزن وتمتلئ عيونها بالدموع -  
-ان كثرة الدوائر والخطوط المنحنية تدل على حقيقة -- اما اللون البنفسجي فهو دلالة على تطلع  
الى شئ من القوة من اجل التغلب على كل شئ -- والطفل الانسان يقف منتصباً وسط ذلك العالم  
وهو يرفع يده علامة على الاستسلام او الدعاء -

تشكل الذاكرة بالنسبة للفنان صدرالدين معينا لا ينضب للكثير من اعماله وهو يعتمد كثيرا الى  
الحفر في طبقات هذه الذاكرة - منقبا وباحثا يلتقط منها ما يشكل مادة اولية للرسم - وكلما تعمق  
بالحفر كانت مقتنياته اكثر مثارا للدهشة - فالطبقات السفلى من الذاكرة تضم ماتضم من ذكريات  
الطفولة الاولى مثلما تضم ذكريات الانسان الاول - العراقي الاول الذي نحت الثور المجنح مثلما  
نحت كل تلك الآثار العراقية الخالدة التي هي منبع البحث والفلسفة الفنية -- وحين يعثر على  
ما يريده بوعي اوبلا وعي -- يخضع كل ذلك لنار التجربة الحامية ولحرارة الانفعال ليقدّم لنا  
عملا فنيا رائعا يتسم بالجرأة والصراحة - والقوة التي تميزت بها اللوحة 11 مثلما تميزت به  
الكثير من اللوحات -

## اللغة الفنية -- ومقومات السرد

لقد تم كل ذلك عبر لغة فنية عالية- تمتلك الكثير من مقومات السرد الحدائوي المعتمد على سبر  
اغوار الذات الداخلية - بانشاء متميز وتمكن حيث يختلط الخيال بالواقع - والحلم بالحقيقة  
والاسطورة بالواقع - والحلم بالحقيقة والاسطورة بالمعاصرة -- مع ميل ظاهر نحو التكثيف  
الرمزي والاختزال عبر التجريد حد الابقاء على القليل - وتحويل الموجودات والكائنات الى  
شفرات موحية - تحتاج الى الخبرة والدراسة وكثير من التأمل من اجل الوصول الى مكنوناتها  
وحل رموزها وصولا الى لذة الاكتشاف والاستغراق بالمشاهدة العميقة وملامسة تخوم الحلم  
والطرق على جدران الاسطورة لارغامها على البوح باسرارها من اجل الانبهار بعالمها الذي ما  
نزال نحفظ به في شرايقه - في دواخلنا -- المترعة بكل شئ حد الآثار والغرابية -

## سمات مشتركة

تشترك اللوحات جميعا في استخدامها للون البني الكامد الذي يقترب كثيرا من لون حريق لم يخمد  
بعد ممتزجا بدخان كثيف - يضاف اليه احيانا ازرق غامق ومغبر مع قليل من الاصفر والاحمر --  
اما اللون الابيض فلا يظهر الا في خلفيات اللوحات لكنه في اللوحة رقم 18 يتناثرها هنا وهناك  
ليشير الى الهدوء القريب من الموت - يساعده في ذلك اللون الاصفر رغم ان الفنان يستمد الكثير  
من لوحاته من عالم الطفولة - الا انها وكما يبدو لم تكن طفولة سعيدة تنعم باوقاتها ومرحها - بل  
كانت طفولة تلتفت عوالمها بالنار والدخان - وحتى عالمه الاسطوري المستمد من القرون - لم  
يكن عالما مشرقا الا نادرا -- بل هو عالم تصطبغ جنباته بالدم والدخان -- عالم خلفته الحروب  
والغزوات وصراع الامبراطوريات على ساحة العراق وهولاكو وهو يغتصب بغداد الحضارة  
ويحولها الى غابة من نار ودخان وانهار من دم-

اللوحات تشترك كذلك في رموز ودلائل عدة تعبر عن احلام الطفولة المجهضة والموجلة ونزوع  
نحو العودة الى المنابع الاولى للحلم والفن حتى وان كانت مريرة وقاسية وهي - اللوحات - تعج  
بالدوائر المتقاطعة والخطوط المنحنية الملتفة على بعضها والاشجار المحترقة - وخاصة اشجار  
النخيل التي فقدت رؤوسها والسعفات التي انشطرت فلم يبق منها الا مقطع طولي -- انه عالم  
الفتنازيا - عالم النار والحرائق والاسلاك الشائكة -- اغصان جافة وسلالم تصعد نحو السماء --  
نبات الصبار الشوكي -- حيوانات متعددة الارجل واخرى تنتصب على قدمين -- اسماك تطير  
واخرى تدب على ارجل عدة -- انه عالم الخيال والحلم والاسطورة والواقع المؤسطر -- عالم  
يمتزج فيه التجريد بالاختزال -- يعود بجزء منه الى الطفولة وجزء اخر الى الذاكرة الانسانية

## الجمعية -

وإذا كان البعض يرى في اعمال صدرالدين انتماء الى المدرسة الفطرية - فانا نستطيع ان نقول ان ذلك ربما يكون صحيحا ولكن بشكل نسبي --فالفنان صدرالدين ليس عفويا كما يشير الى ذلك المصطلح النقدي بزعم انه ذاك الذي لاتتحكم فيه منطقية الاشكال الفنية التي تقرها المدارس وليس فطريا كمنعم فرات مثلا الذي يحمل موهبة فطرية لم يشذبه الاطلاع على المدارس الفنية واكتساب خبرات جديدة عن طريقها - انه ليس هذا ولا ذاك - بل هو ذو اتجاه فني خاص مستمد من خلفيته الحضارية التي تمتد الى اكثر من اربعة الاف سنة - ومستمد كذلك من اطلاعاته على الفن الحديث بمدارسه المختلفة -- فهو على غرار الفنان دويوفيه يدعو الى الوثنية في التصوير والعودة الى الاصول البيولوجية وفنون ما قبل التعقل -

لقد تآثر الفنان صدرالدين بالفنان دويوفيه كما تآثر بغيره من الفنانين خلال دراسته في كلية الفنون الجميلة في بغداد- وما بعدها - فاستطاع ان ينتج عبر هذا التلاحق الفني اتجاها فنيا خاصة به يستند الى التراث العريق مثلما يستند الى روى الفن التشكيلي المعاصر

ان محاولة تفسير العالم بالاسطورة -- ومحاولة تحويل الاسطورة الى عمل فني ليسا بالامر السهل ابدا - فاذا كان الشق الاول من المقولة يستند الى رؤية ثابتة ودراية غير اعتيادية بالعالم - فان الشق الثاني يبدو اكثر صعوبة وهو يتعلق بكيفية التعامل مع الاسطورة - باعتبارها قيمة غير مدركة حسيا -- وتحويلها عن طريق الترميز والتجريد والاختزال والدلالات الكثيرة الى واقع مدرك تتحسس العين غير الخطوط والالوان -- وربما تشاركها الان حين يبلغ المدى اقصى فتتحول الالوان الى اصوات -- واللوحات الى موسيقى --وهذا ما حصل عبر كثير من اللوحات-

عبد عون الروضان  
قاص وروائي عراقي  
جريدة الاتحاد الاماراتية  
1999/8/23